161228 - معنى " لزم " في حديث (من لزم الاستغفار) ؟ وأيهما أفضل الاستغفار أو الصلاة على النبي ؟

السؤال

كثيراً ما سمعت مِن العلماء مَن يقول : (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همٍّ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب) ، وتأكدت من صحة الحديث من موقع " الدرر السَّنيَّة " :
الراوي : عبد الله بن عباس ، المحدث : عبد الحق الإشبيلي ، المصدر : " الأحكام الصغرى " الصفحة أو الرقم : 892 ، خلاصة حكم المحدث : [أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد] .
فأريد أعرف كيف ألزم الاستغفار ؟ هل المقصد طول اليوم ، أم مثله مثل أذكار الصباح والمساء ؟ وأيهما أفضل الاستغفار أم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .
وشكراً لكم .

الإجابة المفصلة

أولاً:
الحديث المذكور في السؤال ضعيف الإسناد ، وقد بيَّنا علَّته وذكرنا مَن ضعفه في جواب السؤال رقم (119743) فليُنظر .
وقد ذكرنا هناك أنه وإن كان ضعيف الإسناد ، إلا أن معناه صحيح ، وقد جاء ما يشهد له ، وهو في فضائل الأعمال التي لها أصل في الشريعة ، وانظر جواب السؤال رقم (44877) ففيه بيان الموقف من الأحاديث الضعيفة الواردة في فضائل الأعمال .

ثانياً:
معنى (لزم) أي : أكثر ، وقد جاء ذلك موضحاً في رواية أحمد في " مسنده " (4 / 104) بلفظ (مَنْ أَكْثَرَ مِنْ الِاسْتِغْفَارِ) ، ولفظ الحديث في " مستدرك الحاكم " (4 / 291) (مَنْ أَكْثَرَ الِاسْتِغْفَارِ) .
وقد قال بعض الشراح إنه بمعنى " داوم " ، كما قاله السيوطي في " حاشية سنن ابن ماجه " (حديث 3819) ، والمعنيان متقاربان ، ولذلك جمع بينهما الشيخ العثيمين رحمه الله بقوله : " (ومن لزم الاستغفار) يعني : داوم عليه وأكثر منه " . انتهى من " شرح رياض الصالحين " (6 / 715) .

على أنه ينبغي أن يتحقق في الاستغفار أمران :
الأول : أن يصاحبه توبة وندم ، لا أن يكون مجرد لفظ يقال باللسان .
الثاني : أن تستعمل الصيغ الشرعية الثابتة بالكتاب والسنَّة ؛ لأن تلك الصيغ ترتب عليها تلك الفضائل المشار إليها ، وفيها من توحيد الله تعالى والاعتراف بالتقصير ما يجعلها تحوي ما هو أكثر من مجرد طلب المغفرة ، كمثل حديث " سيد الاستغفار " وغيره مما أحلنا على الاطلاع عليه قريباً .

ثالثاً:

أما قولك " وأيهما أفضل الاستغفار أم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ " : فالذي ينبغي للمسلم أن يجمع بينهما ؛ فهما مطلوبان جميعا ، وفي كلٍّ خيرٌ لقائله .

وقد ثبتت أحاديث كثيرة ترغِّب بالاستغفار – انظرها في جوابي السؤالين (39775) و (3177) - وأخرى ترغِّب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

والأظهر في ترجيح الإكثار منه في كل مجلس ومقام ، هو الاستغفار ، لسببين :

السبب الأول : أن أحاديث فضائل الاستغفار أكثر .

السبب الثاني : أن الأكثر من فعله صلى الله عليه وسلم هو الاستغفار ، وقد ثبت أنه كان يستغفر ربَّه في اليوم الواحد بل وفي المجلس الواحد مائة مرة ، وانظر هذه الأحاديث في جواب السؤال رقم (126934) .

ويرى بعض أهل العلم أن " الصلاة على النَّبي صلى الله عليه وسلم " أجمع معنى وأكثر فضلاً من ذِكر الاستغفار ؛ إذ من فضائلها مغفرة الذنوب وكفاية همِّ الدنيا والآخرة ، وفيها الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم .

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي فَقَالَ (مَا شِئْتَ) قَالَ : قُلْتُ الرُّبُعَ ؟ قَالَ (مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) قُلْتُ : النِّصْفَ ؟ قَالَ (مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) قَالَ : قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ (مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟ قَالَ (إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ) .

رواه الترمذي (2457) وحسَّنه ، وحسَّنه الألباني في " صحيح الترمذي " .

وهذا الحديث لو كان صحيحاً ثابتاً لا مطعن فيه لكان مرجِّحاً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الاستغفار ، لكن في إسناده مقال ، تكلمنا عليه وعلى متنه في جواب السؤال رقم (128455) .

رابعا :

مع ما أشرنا إليه من الذكرين مطلوبين في عموم الأحوال ، وأنه لا تعارض بينهما ، وإن كان قد يقال : إن الإكثار من الاستغفار أرجح ، مع ذلك كله فقد يترجح أحدهما على الآخر في بعض الأحوال ، وأحيانا يتعين واحد منهما ، ففي حال الوقوع في ذنب ، أو التوبة منها : يكون المقام مقام استغفار ، ولزومه والإكثار منه في مثل هذه الحال أولى ، ولهذا قال تعالى – في وصف المحسنين – (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) آل عمران/ 135.

وفي جلوس التشهد ـ مثلا ـ يتعين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا بعض انتهاء المؤذن من أذانه .

والخلاصة في هذه المسألة :

1. يقدَّم الاستغفار بعد الذنب على الصلاة على النبي صلى الله عليه .
2. إذا كان لا بدَّ لنا من ترجيح فإننا نرجح الاستغفار لسببين ذكرناهما سابقاً ، والسبب الأول له شروطه .
3. مَن يرى صحة حديث أبي بن كعب فتقديمه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الاستغفار له وجه قوي .

4. لكلا الذِّكرين فضائل متنوعة وكثيرة ، فليحرص المسلم على الجمع بينهما ، وهذا الراجح عندنا ؛ جمعاً بين كل النصوص ، وتحصيلاً لكل الفضائل .

والله أعلم